نظرية النقد المنهجي وأهميتها في تطوير تدريس العلوم الإسلامية

د. نبيل طنطاني
جامعة مولاي إسماعيل - المغرب

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع نظرية النقد المنهجي باعتباره من أولويات إصلاح مجال تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي، وأهم المقاربات المنهجية التي ينبغي الاستمساك بها، والاعتماد على قواعدها ومنهجها وطرقها في تطوير تدريس العلوم، لاسيما وأن كل البراهين ناطقة بكون النقد المنهجي هو العامل الأساسي الذي أسهم في تطور المعرفة الإسلامية في جميع العصور والأزمان، وهو الدافع الذي جعلها تحتك علميا مع المعارف الإنسانية، وتظهر صحة أصولها، وقد أصبح النقد المنهجي اليوم هو الأمل الذي لا غنية عنه لدفع تدريس العلوم الإسلامية، لتفعل مقاصدها في إصلاح الفكر والعقل، وحتى يتحقق ذلك فلابد من تفعيل هذه النظرية العلمية التعليمية وحسن ممارستها تنظيرا وتنزيلا، وإدخال قواعدها ومناهجها وآلياتها ووسائلها في صلب عملية تدريس العلوم الإسلامية، حتى يصبح النقد غاية العلوم، وأهم ثمارها، ويتحول الطالب من خلالها إلى متلق ناقد، يقتدر على ممارسة النقد المنهجي في كل ما يصادفه من قضايا علمية ومشكلات فكرية، كما أنه يرسخ فيه هذه الملكة التي تعتبر من أشرف الملكات العلمية.

Abstract:

the research deals with the theory of the systematic criticism as it is priority in the reform of the Instruction of the Islamic sciences at the level of the university. More than what it is deemed advisable to stick to this approach or methodology and adopt its rules and methods in developing the teaching of Islamic sciences. It is worth mentioning that this methodology has contributed considerably in the development of Islamic knowledgeb throughout history.

All this led to its Interaction whith human sciences. The systematic criticism. Proves to be now adays on indispensable hope or wich to urge the teaching of islamic science and implementation of the reform of thought and reason. To achieve this. It is necessary to imptement this teaching scientific methods Mechanisms and weans in the process of teaching Islamic sciences. The propose of this theory is to make criticism the end or aim of sciences and its signifi cant fruite.

Therefore it will transform the student into a critical one. Able to practise the systematic criticism with in the process of studing and researching and intstill on him this noble this noble competency.

المنارة للاستشارات
ww

مقدمة:

يعتبر التعليم الجامعي من أعلى مراكز الهرم الاجتماعي في أي مجتمع ما، وهو من المجالات التي تحتاج في كل وقت وحين إلى الفكر التجديدي في مخططاته وآلياته وطرق التدريس فيه، أو ما يسمى بالإصلاح البيداغوجي، وما لم تتم هذه العملية على مستوى تدريس المواد فيها، فإن الجامعة ستتحول إلى وكر لإنتاج جيل جديد من الأميين، عاجز عن إعادة الجامعة لتقود المجتمع، وتتعايش مع همومه ومشاكله، وهو ما يتطلب منا ابتكار طرق جديدة تتناسب مع متغيرات العصر، وتكون قادرة على إنتاج علماء الأمة في جميع مجالات الحياة، وهذه المسؤولية الجامعية لا تعفى منها شعبة من شعب التدريس في أي جامعة، بما في ذلك شعب تدريس العلوم الإسلامية، التي اغتر بها أصحابها إلى درجة أن بقي التدريس لموادها إلقائيا وشفهيا، كما هو في القديم، دون أن يحدثوا فيه تطورا يخضع لمعايير العصر، وطبيعة تطور العلوم الإنسانية، وهو ما انعكس سلبا على العطاء الفكري، والإنتاج العلمي، الذي يغلب عليه طابع التكرار والاجترار، دون التفكير في تأسيس نظرية علمية تتبناها الجامعة، تسعى من خلالها إلى إبراز المناهج العلمية، لاسيما المناهج النقدية، التي في عمقها مناهج الملة الإسلامية، التي اعتبرت في المنشأ والمنتهى علوم نقدية، تمكن أصحابها بفضل امتلاكها لقواعد النقد من تطويرها لتصبح علوم خادمة للفكر والسلوك والحضارة والعمران، ونظرا لأهمية هذا التصور في الحال والمآل، كان لابد من العودة في تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات إلى هذا المنحى العلمي الدقيق وتربية الدارسين عليه، حتى يتمكنوا من قواعده وترسخ فيهم هذه الملكة النقدية، التي تجعلهم يتحررون علميا من الأقوال والأشخاص، وينتقلوا إلى عالم الأفكار والنظريات التي بها تقوى في نفوسهم القدرة على الترجيح العلمي، وحسن التصرف في الآراء العلمية، بين ما كان منها ثابتا ومتغيرا، ولاشك أن هذا الواقع السائد في تدريس العلوم الإسلامية، يتطلب منا إصلاحا جامعيا حقيقيا، تبرز أهميته القنوات الإعلامية، والمهرجانات العلمية، الندوات والمؤتمرات الفكرية، وقبل كل شيء لابد من التربية عليه ليس في الجامعة فقط، بل يكون هدفا للأسرة والإعلام والمجتمع وقطاع التعليم عموما في جميع مستوياته، حتى يتربى المجتمع على قانون النقد البناء، لإيجاد علماء يمتلكون أدبيات النقد، ويكونون قادرين على الاستفادة من التراث العلمي للأمة، وهم يستثمرون العلوم الإسلامية لتؤدي وظيفتها الربانية في حراسة الشرع، وبيان قدرة الشريعة الإسلامية على سياسة الناس في جميع مجالات الحياة، وبذلك تخرج العلوم الشرعية من الحجرات المدرسية، إلى الناس والمجتمع،

المنارة للاستشارات
ww

ليشهد الناس منافعها، كما كانت عند المسلمين في أزمنة العلم والمعرفة قال تعالى: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين**﴾ (سورة الإسراء: 9).

موضوع البحث ومشكلته:

يتناول البحث موضوعا من أهم الموضوعات التي تشغل اهتمام المشتغلين بتدريس العلوم الإسلامية، لما له علاقة بفقه الشريعة الإسلامية تنظيرا وتطبيقا، وهو فقه علمي لا يمكن فهم غايته إلا عن طريق حسن استثمار علوم الشريعة فقها وتفقها وعلما وتعلما. وهو ما يستدعي اقتراح أهم النظريات التربوية التعليمية الكفيلة بتطويرها، حتى تحقق مقاصدها، ومن بين أولويات النجاح في مجال تدريس العلوم الإسلامية، هو تفعيل النظرية النقدية المنهجية واقعا وتطبيقا.

أسئلة البحث:

- ما هو واقع تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي؟
- ما أهمية تنمية ملكة النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية؟
- ما هي أفاق النظرية النقدية في تحقيق الإصلاح الجامعي؟
- ما هي وسائل تطوير تدريس العلوم الإسلامية وفق نظرية النقد المنهجي؟

فرضيات البحث:

- إن العلوم الإسلامية هي علوم عقلية ونقدية، وأنه لا يمكن أن تدرس بدون نقد، ولا قيمة لمعرفة عاجزة عن تحقيق النقد، ولهذا كانت العلوم الحقيقية هي التي تربي أصحابها على النقد المنهجي، وتكون في النفوس ملكة راسخة نقدية يقتدر بها أصحابها على نقد الواقع والفكر.

حدود البحث:

ينطلق البحث من فرضية أن تفعيل نظرية النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية، هو الكفيل بتطويرها والارتقاء بها حتى يصبح تدريس العلوم الإسلامية محققا لأهدافه الإصلاحية والتربوية في التعليم الجامعي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من طبيعة الموضوع الذي يرتبط به ألا وهو مقاربات تدريس العلوم الإسلامية، من حيث اقتراح سبل تطويره، لاسيما في ظل غياب رؤية تربوية يسلكها النظام الجامعي، والتي تجعل واقع التدريس يعاني من صعوبات تربوية تعليمية، لا تؤهله ليصبح منخرطا في بناء الذات

المنارة للاستشارات
ww

وإصلاح المجتمع وبناء الحضارة، مما يستلزم تفعيل نظرية النقد المنهجي في التدريس، حتى تجعل المعرفة التي تدرس في ميزان أُصول ومقاصد الشرع والعقل والتجربة والواقع الاجتماعي.

أهداف البحث:

- الدعوة إلى تفعيل نظرية النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية في جوانبها التطبيقية.
- تنمية ملكة النقد عند الطلبة، من خلال إجراء اختبارات منهجية وورشات تعليمية وتداريب عملية.
- الدعوة إلى مراجعة تدريس العلوم الإسلامية وفق الطرق التقليدية الموروثة، وتأهيل العقل الإسلامي ليستوعب فلسفة العلوم الإسلامية التجديدية، التي تحمل رؤية إصلاحية بها نقوم بإصلاح حاضرنا وبناء مستقبلنا.

الدراسات السابقة:

لم يكن هذا البحث إلا إضافة لسلسلة من الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع تدريس العلوم الإسلامية، وأهم الوسائل والطرق والمناهج التربوية والتعليمية، التي تطور حسن تدريسها حتى تحقق غايتها وثمارها في الواقع، ولكن هذا البحث يسعى إلى الدعوة إلى تبني نظرية النقد المنهجي في التدريس باعتبارها نظرية إصلاحية تسهم في الارتقاء بالأداء البيداغوجي، والتوجيه التربوي والضبط المنهجي، وتنمية المهارات النقدية، وهي من أهم ما ينبغي السعي إلى تحصيله وتحقيقه في الفضاء الجامعي.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الوصفي النقدي في تناول موضوع تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي، وفق نظرية النقد المنهجي، من خلال بيان أهميتها وآفاقها وأهم طرق تفعيلها في التدريس الجامعي.

تمهيد:

يعتبر التدريس من أخطر المجالات التي توجه سير المجتمعات الإنسانية، وهذا المجال الحيوي لا يمكن أن يحقق أهدافه وغايته في النهوض بالفرد والمجتمع، إلا إذا اشتغل وفق نظريات تربوية علمية، تبنى على ضوئها المفاهيم والقيم، وتحدد بها مظاهر النقص والخلل، في تلقين المعارف وتصنيف المعرفة في مجال تدريس العلوم، وصولا إلى النتائج الصحيحة.

المنارة للاستشارات
ww

ومصطلح النظرية من المصطلحات التي تحمل دلالات كثيرة، ولها إطلاقات عدة، وما يهمنا في هذا المقام هو أمران:

- الأول: ما يتقوم به معنى الحق المحض، أو الخير المثالي المتميز في الإلزامات.

- الثاني: تركيب عقلي واسع، يهدف إلى تفسير عدد كبير من الظواهر[1].

ومصطلح النقد في الاستعمالات اللغوية والمعرفية يرجع إلى النظر للقضايا والمسائل من أجل التمييز بين جيدها ورديئها، ومنه نقد الخبر أي تمييز صحيحه من سقيمه، ومقبوله من مردوده.

وقد جاء في لسان العرب قوله: "ونقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف... وفي حديث أبي الدرداء، أنه قال: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك. معنى نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم قابلوك بمثله.. "[2].

وقد ورد استعمال مصطلح النقد عند علمائنا الراسخين، بل الأعجب من ذلك أنه اعتبر من العلوم الإسلامية، وإن كان قصد به نقد الشعر خاصة كما عند اليوسي في قوله: " وأما علم النقد، فالمراد به نقد الشعر، وهو معرفة ما يقبل فيه وما يرد، ومن المقبول ما يستجاد، وما يستساغ فقط، حتى يتميز فيه الخبيث من الطيب، كما يقع انتقاد الدراهم، لمعرفة الجيد منها والرديء. وكأن النقد مضاف إلى الشعر وحده، مع أن الكلام كله ينتقد"[3].

وهذا التصور عند اليوسي يزيد التأكيد على أن النقد استعمل في تاريخ العلوم الإسلامية، ومارسه العلماء النقاد في جميع التخصصات المعرفية، مما يبرهن على حضوره في مجال العلوم الإسلامية.

والملكة النقدية هي ملكة ذهنية ونفسية تجعل صاحبها يمتلك القدرة على التمييز بين الجيد والرديء، والخطأ والصواب في العلوم والمعارف والأفكار، ولا يستعمل النقد حينئذ إلا فيما ينبغي دون إفراط أو تفريط.

وأما مصطلح نظرية النقد المستعملة في ثنايا البحث، فهي عبارة عن مجموعة من البناءات والمفاهيم والقواعد التعليمية والتربوية، التي تعطي تصورا نظاميا للعملية التعليمية، وتسعى من خلال ذلك إلى توجيه العمل البيداغوجي، وتحسين الممارسة التعليمية داخل الفضاء الجامعي، والارتقاء بها، حتى يكون الهدف الأسمى من تدريس العلوم الإسلامية فيها، هو بناء المنهج النقدي في التدريس، وتحصيل ملكة النقد عند الطلبة، والغاية العظمى من ذلك هو تطوير تدريس المعرفة الإسلامية، حتى تنسجم مع الواقع المعاصر، وتتمكن من دراسته وتحليله واقتراح البدائل الشرعية

المنارة للاستشارات
ww

لتصحيحه وإصلاحه.

والنقد في العلوم الإسلامية غايته التمييز بين المعرفة الصحيحة والخاطئة، والوصول إلى الحق والحقيقة قال العلموي: " والقصد من البحث ظهور الحق، وحصول الفائدة، واستفادة البعض من البعض لا القيام مع النفوس والجدال والمماراة"[4]. وبهذا يكون النقد في العلوم الإسلامية، مهارة وملكة ومنهجا يسهم في بناء المعرفة الصحيحة، ويدفع العالم والمتعلم إلى استثمار المعرفة في الاجتهاد والإبداع الفكري والسعي إلى تطويرها والارتقاء بها.

المبحث الأول: واقع تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي

إن تشخيص واقع تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي، يحتاج إلى أبحاث تربوية ميدانية تستقرئ الواقع البيداغوجي، من خلال دراسة أساليبه ووسائله وأهدافه واستراتيجياته ونتائجه، وهو عمل مثمر يحتاج إلى مؤسسات علمية تتفرغ له، لكن المشكلة تكمن في الواقع الجامعي عموما، الذي لا يستقل عن منظومة تعليمية فيه يشتغل، وعلى أدبياتها يعمل، بحيث نجد على سبيل المثال الدارس يقضي فيها اثنا عشر سنة قبل أن ينتقل إلى التعليم الجامعي، ويزيد ثلاث سنوات في الجامعة، أو أكثر، ويخرج منها دون أن يحكم قوانين العلوم عموما، والإسلامية خصوصا، ويستوعب مقاصدها، وتترسخ في نفسه الملكات العلمية، وقديما نبه على هذا ابن خلدون، بما يدفع المشتغلين في تدريس العلوم الإسلامية إلى تجديده، وإيجاد نظرية بيداغوجية في تدريس مبادئها تناسب الواقع التربوي التعليمي، وتراعي مقاصد العلوم، قال ابن خلدون قديما: " فطال أمدها في المغرب لهذه المدة، لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة، لا مما سوى ذلك"[5]. وما قاله ابن خلدون قديما يتنزل على واقعنا الحالي، وإلا فمن العيب أن تطول مدة تدريس العلوم الإسلامية في الجامعات على حساب تخريج العلماء الراسخين والنوابغ في مجال صناعة الفكر والعلم، لكن المشكلة الحقيقية تكمن في منظومة تعليمية فاشلة، يتساهل أصحابها في إجراء التغييرات الإصلاحية الصحيحة المناسبة.

ليث شعري فالتعليم عموما، والجامعي منه خصوصا، أخطر إصلاحا من عملية جراحية سيقوم بها الطبيب للمريض، فيترتب على نجاحها حياته، وعلى فشلها موته، والتعليم أعظم حرمة من طب الأبدان، لأن في نجاح إصلاحه، نجاة للمجتمع بكامله، وهو ما يستوجب في حق القائمين على إصلاحه أن يكونوا من القادرين على استيعاب أزمة التعليم الجامعي، في مجال تدريس العلوم عموما، والإسلامية منها خصوصا، ممن يمتلكون القدرة على التغيير والارتقاء

المنارة للاستشارات
ww

بـالعلوم الإسـلامية في التـدريس الجـامعي، لتكـون موجهـة للقـيم والأفكـار والمنـاهج والـنظم الاقتصادية والاجتماعية، وقائمة بصناعة العلم والعلماء في الأمة.

إن هذا الواقع الذي يظهر فيه غياب أدبيات النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية راجع بالأسـاس إلى حصـول خلـل منهجي ظاهر، لأن واقـع تدريسـها، يشـهد باهتمـام أصحابها بتكـديس معلومات وتخرين المعارف في أذهان المتعلمين، دون العناية الكبيرة بترسيخ منهج نقدي في التعلم والتعليم، تجعل تدريس العلوم الإسلامية قادرة على بناء الذات، وتجعل المتعلم ممكنا من أدوات العلم ومهارات التفكير، وقد صدق الشاهد البوشيخي بقوله: " والعالم ليس هو الذي يحمل في رأسه خزائن ومكتبات، ولكنه الذي يعرف كيف يوظف ما في رأسه، وما في الخزائن والمكتبات، من أجل بعض الإضافات"[6].

وهنا يظهر أنه لابد أولا قبل كل شيء من استيعاب فلسفة العلوم الإسلامية، وتدريسها على أساس أنها أدوات نقدية بها يتحقق تحليل القضايا، وتعليل الظواهر، ونقد الأفكار، وهذا هو الكفيل بتطوير المعرفة الإسلامية، حتى تواكب المتغيرات الحضارية، ويكون لها تأثير في الحياة والمجتمع، كما كان لها تأثير فكري وثقافي وحضاري في القديم على كل الحضارات الإنسـانية، التي اسـتفادت مـن العلـوم الإسـلامية مـن حيـث مناهجهـا ومقاصـدها وقواعـدها ونتائجها.

ومن أبرز مظاهر تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي ما يلي:

- غلبـة الجانـب المعرفي على الجانـب المهـاري والوجـداني والعقلي: وهـو واقـع يسـود فيـه هيمنـة النمط المعرفي، الممل الذي يهدف إلى صناعة حافظ، وليس خبير يمتلك مهارات فكرية، تؤهله ليبدع في توظيف العلوم وبناء النظريات العلمية.
- التنـافس في حفـظ العلـوم الإسـلامية دون القـدرة على نقل أحـداثها لواقـع الحيـاة حتى تنـاقش علـوم العصـر ومشـكلاته، وتلامـس الأحـداث الاجتماعيـة، وتكـون لهـا قـوة التغيير الاجتمـاعي، وتصبح أداة لإصلاح أحوال المجتمع ومقياس الارتقاء الفكري والقيمي.
- الاكتفاء في تدريس بعض العلوم الإسلامية، على حل المغلقات وشرح المقفلات، تجهد العقل في معرفـة إشـكالاتها وبيـان معانيهـا، وأن المـدرس البـارع هـم مـن تمكـن مـن حلهـا، وأن الطالـب الحقيقي هو من استوعب وسائل فك العبارات الغامضة.

المنارة للاستشارات
ww

- التركيز على جانب الحفظ، ولهذا يمدح الحفاظ ويعظم حافظهم بين الخلق، وهذا ليس عيبا، لكن العيب أن يكون الحفظ غاية في نفسه، دون أن يلتفت إلى ضوابطه وقوانينه، لأن أي فعل تربوي تجاوز حدوده، ينقلب على صاحبه بالسوء، حتى الناس في قضية الحفظ ليسوا سواء، فالناس معادن كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: " **تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**"[7]، فالمطلوب الأعظم هو امتلاك مناهج الفهم، وقوانين تفعيل العلوم، وتفعيل ملكات الفهم، وهذا مما تضافر عليه كلام المتقدمين والمتأخرين من أهل النقد والاستقراء: جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه قال: ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية"[8].

وروى ابن بطة عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى رضي الله عنه قال: " أن الفقه ليس بسعة الهذر وكثرة الرواية، إنما الفقه خشية الله"[9].

وقال إبراهيم الخواص: "ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم واستعمله، واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم"[10].

قال مالك رحمه الله: "ليس العلم بكثرة الرواية والدراية، ولكنّهُ نور يضعه الله في قلب من يشاء الله رفعه[11].

ولهذا لو كان الحفظ أهم مقصد في تلقي العلوم، لكان الحاسوب أشرف من الإنسان، لأنه أكثر خزنا للعلم والمعرفة، وللأقدم الصحابة كلهم على حفظ القرآن الكريم، ولكن كانت لهؤلاء الكبراء مقاصد جليلة، يا ليتنا نستفيد منها في تحصيل مناهج تلقي العلوم الشرعية، وهي من أعظم ما يصل إليه الغواصون في فلسفة العلوم الشرعية، وهو فقه العمليات التربوية، أو ما يصطلح عليه بالمقاصد العملية للعلوم، ولهذا مكث عمر ابن الخطاب في حفظ سورة البقرة ثمان سنين، فقد ذكر الإمام مالك، أنه بلغه: أن عبد الله عمر بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها"[12].

وهو رؤية علمية تربوية تبين مدى الحاجة الماسة إلى منهج علمي في تلقي علوم الشريعة، ينبني على نشر الفلسفة القرآنية في الحياة، وهو منزع لا يتحقق بحفظ القرآن في النفس، بقدر ما يتطلب نقل نظريته الإصلاحية إلى شؤون الحياة ومجال الكون، والسعي إلى العمل بفقهه السنني في إصلاح الواقع.

المنارة للاستشارات
ww

قال جندب بن عبد الله رضي الله عنه: "كنا غلمانًا حزاورة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان"[13].

- كثرة البحوث العلمية، التي يغيب فيها المنهج العلمي النقدي المحكم، وقلة البحوث التربوية التي تتعلق بطرق ومناهج تدريس العلوم الإسلامية، وهي من العوائق المنهجية المؤثرة على استيعاب فلسفة العلوم الإسلامية، وغالب هذه البحوث يطبعها التكرار والاجترار، وهي دالة على أمرين:

- **الأول**: ضعف استيعاب الملكات العلمية المتعلقة بالعلوم الإسلامية، مثل ملكة النقد المنهجي.

- **الثاني**: غياب مقاصد البحث في البحوث الجامعية، وقد أوصلها ابن خلدون إلى سبعة مقاصد، ولما انتهى منها قال ابن خلدون: "وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، ثم انتحال ما تقدم لغيره من التآليف أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه، فهذا شأن الجهل والقحة"[14].

وحتى نتفادى ذلك فلابد من التركيز في البحوث الجامعية على نوعية البحوث، وعلى احترام معايير الجودة العلمية، لأن العبرة ليست في عدد الصفحات، بقدر ما ينبغي أن يستهدف تحقيق مناط قضية علمية ما، بمعرفة إشكالاتها ومبانيها ومنهج التعامل معها، واختيار الأسلوب الواضح الميسر الموصل إلى التعبير عن الهدف، وأن يكون البحث قد استوفى البحث في القضية المبحوث فيها.

- الاستمساك بطريقة التلقين في تدريس العلوم الإسلامية، وهي من أيسر ما يستعمله المدرسون، مع أن العلوم الإسلامية، هي علوم تربية وتعليم وليست مجرد تلقين للأفكار والمعلومات، وهو ما يلمسه المتخصصون ظاهرا في فلسفتها وأبعادها، ولهذا فرق أبو هلال العسكري بين التعليم والتربية فقال: " أن التلقين يكون في الكلام فقط، والتعليم يكون في الكلام وغيره تقول: لقنه الشعر وغيره، ولا يقال: لقنه التجارة والنجارة والخياطة، كما يقال: علمه في جميع ذلك، وأخرى فإن التعليم يكون في المرة الواحدة، والتلقين لا يكون إلا في المرات، وأخرى فإن التلقين هو مشافهتك الغير بالتعليم، وإلقاء القول إليه ليأخذه "[15].

المنارة للاستشارات
ww

- الاهتمام في تدريس العلوم الإسلامية بفقه النص، وإهمال النظر إلى مناط الواقع، وما يحيط به من قضايا ونوازل

يقول عبيد سلامة: " إن غياب أهمية فقه الواقع، والاقتصار على فقه النصوص وحفظها، تولد عنه أن الجهود التعليمية والفكرية اتجهت جميعا إلى إثبات صحة النص، وتحقيقه ومقارنته، واستكمال الرجوع إلى مخطوطاته، وكان تفكيك العبارة والشكل هي الأهم في التعليم، حتى التعليم الجامعي، وهذا جيد من بعض الوجوه لكنه لا يمثل نصف الحقيقة، أو نصف الطريق، وإنه إنما يقع في إطار الوسائل، فما قيمة النص الصحيح العملية إذا لم يترافق معه دراسات واجتهادات عن كيفية إعماله في واقع الناس؟ الأمر الذي أدى إلى تجمد عقل المسلم، وتحول إلى خزانة ونسخة مكررة للكتب المقررة"[16].

إذا كان هذا هو واقع تدريس العلوم الإسلامية في الجامعة اليوم، بكل ما يترتب عليه من آثار غير محمودة في حياتنا الاجتماعية والثقافية، فإنه مع ذلك فالعلوم الإسلامية نفسها زاخرة بالقوانين العلمية، التي تمكن المدرسين من دراسة الواقع التربوي التعليمي، والنهوض به من أجل بناء علوم إسلامية نقدية، تقوم بأدوار إصلاحية توجه مسار البحث العلمي في الجامعات.

المبحث الثاني: أهمية تنمية ملكة النقد في تدريس العلوم الإسلامية

يعتبر تدريس العلوم عموما والشرعية خصوصا من أجزل مقاصد الشريعة قال ابن رشد: " وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق. والعلم الحق هو معرفة الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات على ما هي عليه، وبخاصة الشريفة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي. والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء. والمعرفة بهذه الأفعال هي التي تسمى العلم العملي"[17].

والعلوم تأخذ شرفها بقيمة ما تنميه في المتعلم، ومن أعظم ما ينمى في الإنسان هو الشخصية الناقدة القادرة على الإبداع والاجتهاد، وبسبب هذا كانت ملكة النقد من أشرف الملكات التي ينبغي السعي لتنميتها في تدريس العلوم الإسلامية، ومن أهم الغايات التي ينبغي السعي إلى ترسيخها في نفوس المتعلمين، قال ابن خلدون: "وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية، تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ قدمنا أنما تنشأ بالإدراكات، وما يرجع إليها من الملكات"[18].

المنارة للاستشارات
ww

فيكون تحصيلها من أهم المقاصد التي ينبغي الحرص على نيلها سواء بالنسبة للمدرس أو الدرس أو الدارس قال ابن خلدون: "فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء يبلغونه لمن تلقاه، فليقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه. ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد من الحقائق، وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر، ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له"[19].

وتكمن أهمية تنمية ملكة النقد في تدريس العلوم الإسلامية في كونها معيارا علميا دقيقا يجنب من الوقوع في كثير من الآفات العلمية التي يلمسها الخبراء والدارسون للعلوم الإسلامية، وهي كثيرة منها:

- مشكلة تكديس المعارف بدل السعي إلى بناءها في الذات، وترسيخها الملكات في النفس.
- مشكلة الاستهلاك المعرفي بدل تفعيل الإنتاج الفكري والتجديد العلمي.
- مشكلة الحرص على جمع المعرفة دون تمحيصها والبحث عن سبل تطويرها.
- آفة التعميم بدل التدقيق والتمحيص في القضايا والمسائل.
- مشكلة الارتجال الذي تجعل تدريس العلوم الإسلامية يغيب فيه التخطيط الاستراتيجي.
- مشكلة الفوضى الفكرية بدل الضبط المنهجي المحكم في دراسة القضايا والنوازل.
- والنظرية النقدية تجعل تدريس العلوم الإسلامية في نتائجها التعليمية البيداغوجية محط غربلة وتدقيق، وهذا التقويم النقدي بشتى أنواعه ضروري في العملية لتعليمية لمواد العلوم الإسلامية، لابد أن يحرص عليه القائمون عليها، وهو أمر يجعل تدريس العلوم الإسلامية محققة لأهم مقصد، وهو ترسيخ التجديد في الفكر والعلم، فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام، قد قرر بعثة من يجدد لهذه الأمة دينها، فمن باب أولى أن تتجدد مناهجها وعلومها وأفكارها حتى تواكب العصر، وتحل المشكلات الحضارية، لاسيما وقد اختلف الإنسان والمجتمع والثقافة، وتغير الزمان والمكان، وظهرت مستجدات حضارية، كل هذا استوجب البحث عن حلول بيداغوجية لتطوير تدريس العلوم الإسلامية.

وبهذا تكون النظرية النقدية ليست مجرد تصور نظري بقدر ما هي استراتيجية محكمة في مجال تدريس العلوم الإسلامية، فالنقد أداة ومنهج وملكة ومن أجزل مقاصد العلوم الإسلامية،

المنارة للاستشارات
ww

ولا نبالغ إن قلنا إن من أهم ثمرات تدريس العلوم الإسلامية، هي تحصيل النقد المنهجي لغربلة المعرفة، وتطويرها حتى تمضي قدما في الإبداع الفكري.

والناظر في مقررات تدريس بعض مواد العلوم الإسلامية، يجد أنها لا تتناسب مع واقع الطلبة، كما أن الطالب يجد صعوبة في التكيف معها واستيعابها، ولهذا يلجأ كثير منهم في الاختبارات العلمية إلى الغش، وهو ظاهرة بقدر ما هي مرتبطة بالطالب، فهي كذلك لها ارتباط وثيق بالمقرر والدرس التعليمي والمادة المدرسة، وهذا يستدعي التفكير في طرق بيداغوجية جديدة، لوضع الاختبارات التي ينبغي أن تتجه إلى استنطاق ومخاطبة الملكات النفسية والعقلية عند الطلبة، ولاشك أن تنمية حس النقد عند الطالب كفيل بانخراطه في النجاح في الاختبارات التربوية.

والنقد في النظرية النقدية ليس مجرد ترف فكري يهدف إلى النقد بالدرجة الأولى بل النقد، كما قال آلن هاو: " يحتاج لأن يكون أكثر من مجرد الانتقاد، فهو ينبغي أن يكون محايثا للظروف التاريخية المحددة والإمكانية التي تنطوي عليها في توليد حياة أفضل ومؤسسا فيها"[20].

ولما كان النقد المنهجي شريفا، وآثار توظيفه في تدريس العلوم الإسلامية محمودة، فإنه ينطوي على تحقيق مقاصد عليا منها:

- تقويم الأفكار: وهو من أهم مقاصد تدريس العلوم الإسلامية، والغاية من ذلك هو تحسين جودة التعليم، والرفع من الدافعية والإنتاج عند الطلبة.
- مناقشة المسائل العلمية والتدقيق فيها وحسن مراجعتها وفق نظرية النقد المنهجي.

وقد كان هذا دأب الراسخين في تدريس العلوم الإسلامية قال أبو البركات: " وقد شاهدت الشيخ تقي الدين الحصني ذكره الله بالصالحات بالديار المصرية يتلطف للطلبة، ويجلهم إجلالا زائدا، وكان يقرئ فنونا كثيرة من العلوم، فقلت له في ذلك، فقال: أنا أحوج إلى الطلبة منهم لي، لتذكيري العلوم خصوصا العلوم النقلية، ولو تركت التدريس فيها شهرا واحدا، لتفلتت علي لدقتها، فكيف بمن هو تارك لها السنين العديدة"[21]. فأين نحن اليوم مما نراه في واقعنا الجامعي، في من يعكف على تدريس علم من العلوم، ويلازم طريقة واحدة في التدريس، لا يفارقها ويطعن في من ينتقده فيها، دون أن تحدثه نفسه أن يدخل عليها رؤى معرفية وعلمية وتربوية نقدية، تدفع العلم ليناقش قضايا العصر، ويحل مشكلاته.

المنارة للاستشارات
ww

- تزويد العلوم الإسلامية أصحابها وطلابها بالصنائع العلمية، وما أكثرها لمن تتبع مسار العلوم الإسلامية تدريسا ومدارسة، ومن أهمها صناعة النقد، التي تعتبر قانون العلوم الإسلامية.

- تصحيح المعرفة وترشيدها في النفس الإنسانية: كما هو معلوم أن آي معلم ينتابه إحساس في فترات تلقي العلم بتمجيد ما تعلمه من علوم، وهو خلل منهجي، يورث في النفس آفة التعالم والإعجاب، وإذا استحكم في النفس يضيع على العالم فوائد تصحيح الخلل المعرفي المنهجي في تلقي وتصور العلوم، وفي إنتاج المعارف على ضوء قوانينها.

- النقد العلمي الصحيح الذي تربيه العلوم الإسلامية في نفوس الطلبة، يمكنهم من الارتباط بالأصول العامة التي عليها مدار العلوم الإسلامية، مما يربأ بهم عن ربقة التقليد المذموم، وهو من محاسن النقد العلمي المتين.

- اقتراح حلول لإصلاح الواقع التربوي التعليمي: وهنا تظهر أهمية تحصيل العلوم الشرعية، لأن غرضها الأكبر هو نقد الواقع الفكري والسياسي وتوجيهه حتى يستقيم على أصول الحق المبين.

- تأسيس معرفة علمية محكمة النظام والقانون: ونمثل لذلك بعلوم الحديث التي نشأت في أحضان المنهج النقدي الحديثي الذي غربل السنة والنبوية ومحصها، ووضع ضوابط للتمييز بين صحيحها ومعلولها.

قال القاضي عياض: " ثم التمييز والنقد بمعرفة صحيحه من سقيمه، وحسنه ومقبوله، ومتروكه، وموضوعه، واختلاف روايته وعلله، وميز مسنده من مرسله، وموقوفه من موصوله"[22].

- الإبداع العلمي والفكري، لأن العلوم تتطور بقانون النقد، الذي يجعل العلوم الإسلامية موجهة لحل المعضلات الفكرية، تحفز المشتغلين فيها على التفكير الإبداعي، وهنا تظهر قدرة العلوم الإسلامية على الإنتاج الفكري في كل زمان ومكان.

- بناء الشخصية العلمية الناقدة: وهو بعد تربوي لنظرية النقد المنهجي، الذي يبعث في النفس روح التفاؤل والإيجابية.

- اكتساب المهارات النقدية: مثل الاعتراض والقلب والمناقشة والاستدلال والجدل... وما أكثرها لمن جرب النقد المنهجي.

المنارة للاستشارات
ww

- رسوخ الملكة النقدية في النفس: وهي ملكة علمية ضرورية، لا يكتمل استيعاب فلسفة العلوم الإسلامية إلا بها.

- الإستدراكات العلمية على الحقائق العلمية: وهي مسألة دقيقة يتم فيها تدارك النقص الحاصل في تدريس علم من العلوم، وهي فكرة المحدثين، حبذا لو جلبت إلى ميدان تدريس العلوم الإسلامية عموما.

- إعادة بناء الذات: لأن الذات إذا طال عليها الزمان، فإنها تعتاد ما تستملحه، والناس أعداء ما جهلوا، والإنسان مهما فكر وقدر، فلابد أن يقع له نقص في الفهم والإدراك وفي الدرس والتدريس، وحتى يطور الإنسان أدائه البيداغوجي في التدريس، فلابد أن يختبر ذاته عن طريق ممارسة فن النقد عليها من أجل الارتقاء بها نحو الكمال.

- تصويب المسار العلمي البيداغوجي لتدريس العلوم الإسلامية، من خلال الوقوف على مواطن القصور، ودراسة أسباب الضعف ومواطن التقصير، وهو السبيل لتطوير المعرفة الإسلامية، والسير بها إلى تحقيق أهم غايتها في بناء الإنسان عقلا وفكرا.

- النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية، يعيد الاعتبار لوظيفتها، ودورها في البعث الحضاري، من خلال الانطلاق من قواعدها في تحقيق الاجتهاد الفكري، والرقي الحضاري.

المبحث الثالث: آفاق النظرية النقدية في تحقيق الإصلاح الجامعي:

كما يعلم المتخصصون في العلوم الإسلامية أنها ليست ككل العلوم، وأنها تنفرد بخواص تميزها عن المعرفة الإنسانية عموما، وهي:

- إنها علوم خادمة للنص الإلهي، تسعى في قانونها إلى استنطاق حكمه واستخراج أسراره، للإجابة على مشكلات الحياة، وحتى تحقق هذا المقصد الأحمد، فلا بد من أن يمتلك أصحابها مقاييس العلوم الإسلامية، ويتأهلوا علميا لعمليات التقويم والمراجعة والتصحيح في طرق تدريس هذه العلوم في الجامعات، وهو ما يستدعي اختيار نظرية النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية.

- إنها علوم تجمع بين النقل والعقل، ولا تفرق بينهما قال ابن رشد: " ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان، إلا إذا اعتبر الشرع، وتصفحت سائر أجزائه، وجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد"[23].

المنارة للاستشارات

- إنها علوم التربية والتزكية تستهدف الرقي بالإنسان ليحقق الأبعاد الاستخلافية في الأرض. قال الغزالي: " فتعليم العلم من وجه: عبادة لله تعالى، ومن وجه خلافة لله تعالى، وهو من أجل خلافة الله، فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه"[24].

وهي علوم تحقق الكمال في الدنيا والآخرة كما قال اليوسي: " فلأن كل كمال ديني ودنيوي، عاجل أو آجل، موقوف على العلوم الشرعية، وينبوع ذلك كله هو كتاب الله"[25].

ونظرا لهذه الأهمية التي تكتسيها العلوم الإسلامية، فلابد من السعي لتطويرها في مجال التدريس الجامعي وفق رؤية تربوية تجديدية، تحددها آفاق النظرية النقدية المنهجية في التنظير والتطبيق التعليمي والتي تتمثل في:

- الاجتهاد قدر الإمكان في بناء جامعات نقدية واضحة المقاصد والغايات، يعرف الدارس والمدرس دوره فيها من حيث الأدوات والأهداف والاستراتيجيات والقواعد والمفاهيم والقيم التي تتداول فيها.

- الحرص على التجديد في تطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية، والسعي بها إلى الارتقاء المعرفي، حتى تكون قادرة على الصمود أمام المتغيرات المعاصرة، وهذا لا يتأتى إلا باستثمار النقد المنهجي الناجح في التدريس، والذي يمكن المشتغلين بها من القيام بالمراجعات المستمرة، لأدواتها ووسائلها التعليمية، واختيار أنسب الطرق والأدوات التي تنقل العلوم الإسلامية، إلى مقامات التجديد والاجتهاد.

- إعادة النظر في طرق ومناهج تدريس العلوم الإسلامية، التي ينبغي أن يستهدف بها المدرسون الحياة والواقع، حتى ينخرط الطلبة في نقل قواعد ومقاصد العلوم الإسلامية إلى المجتمع، وهنا يكون من أولويات تدريس العلوم الإسلامية، هو إعداد المتعلم ليتبصر عصره بميزان الشريعة الخالدة، ودفعه إلى تحقيق التنمية في جميع مجالات الحياة.

- مسائلة القائمين على تدريس العلوم الإسلامية عن الحصيلة العلمية والفكرية، التي تمكن الطلبة من الاعتبار التربوي، الذي ينمي حسن قراءة الواقع والنظر في المستقبل، وما يقتضيه العصر من أولويات في اكتساب المعرفة الإسلامية وتطويرها، وبهذا تمكن العلوم أصحابها المدرسين والدارسين من تحليل الظواهر الاجتماعية، وإدارة الشؤون العامة في الأمة وفق مقاصد العلوم الإسلامية.

المنارة للاستشارات
ww

- أن تصبح العلوم الإسلامية تمتلك مقاييس النقد العلمي، والذي يمكنها من الاقتدار على نقد مناهج العلوم الحديثة، لاسيما تلك التي تتجه إلى نقد المنقول الذي يعتبر أساس العلوم الإسلامية.

وفي هذا السياق لا ينبغي التساهل في شأن نظرية النقد في تدريس العلوم الإسلامية، فهي ليست بالأمر السهل واليسير، لأنها مسؤولية علمية، وأمانة أخلاقية، قد لا يحسنها كل من تصدى لها، قال الشاهد البوشيخي: "وأكبر الكبائر - لا شك - أن نظن أننا يمكن أن نفهم النقد - وما نحن له بفاهمين - دون اقتحام عقبة المصطلحات"[26].

- السعي إلى تطوير الوسائل التعليمية والطرق البيداغوجية والأساليب التربوية، حتى تحل المشكلات التعليمية والثقافية التي تعيشها الأمة، ولهذا ما فائدة أن تدرس العلوم الإسلامية، وهي بمعزل على واقعها، بل ينبغي السعي إلى تنزيل العلوم لدراسة الواقع، وتحليل مشكلاته، واقتراح الحلول الشرعية لمناسبة لإصلاحه.

- أن تدرس العلوم الإسلامية بغاية صناعة العلماء في الأمة، وتأهيل المتخصصين في كل مجالاتها، ممن يمتلكون الملكة النقدية، التي بها يقتدرون على الغوص في عمق المعرفة الإسلامية، وبهذا نتجاوز في التدريس المناهج التقليدية التي ارتبطت بواقع تربوي معين. ونجعل العلوم الإسلامية، منفتحة على دراسة المشكلات الحديثة، التي تركت آثارها على حياة الناس في مجال العبادات والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- اختيار نظرية النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية، يجعل الأدوار متبادلة بين المدرس والطلبة، ولا يسير فيها درس العلوم الإسلامية إلى اتجاه واحد، يسود المدرس فيه على عقول الطلبة، وهو نوع من السلطة الفكرية التي تمارس على العقول ينبغي للأستاذ الخبير أن يحجم عنها، ويتحرر من سلطانها، ولهذا كان العقلاء في بعض الأحيان يختبرون الطلبة بمعلومات ومعارف خاطئة، الهدف منها تعويد المتعلمين على نقد الأفكار والمعارف، حتى لا يبتلوا بآفة الاستهلاك الفكري المذموم، الذي يحولهم إلى كائنات تتلقى ولا تعطي. وهنا المدرس الناجح هو من يصنع المتعلم، ويرتقي بالأفكار، ويحسن نقل الصنعة إلى الطلبة، لأنه ما فائدة الصانع إذا عجز عن إفادة وصناعة الإنسان، وهذا يتطلب امتلاك المدرس حسا نقديا، لنفسه ولدرسه، ويحسن النقد في تدريس العلوم التي يلقيها على الطلبة، حتى يخلق دافعية النقد عند الطلبة.

- إن تفعيل النظرية النقدية في تدريس العلوم الإسلامية يمكن مضامينها وأغراضها من تفادي المعنى الضيق لها، والذي يشمل مجالا معينا دون أن يشمل جميع مناحي الحياة.

المنارة للاستشارات
ww

- تدريس العلوم الإسلامية وفق نظرية النقد المنهجي، يجعلها تتأسس على معالم النقد المنهجي الذي يحول القضايا المدروسة إلى مشاريع علمية، وهنا تظهر رسالية العلوم الإسلامية، لأن المدرس قبل كل شيء، هو رسول هذه العلوم التي وضعت لإظهار قيمة الشريعة الإسلامية في الحياة البشرية.

- إن حسن استثمار نظرية النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية، يمكنها من التفاعل الإيجابي مع روح العصر، وطبيعة الحضارة الحديثة، ومواكبتها للاتجاهات الفكرية والمكونات السياسية، ويجعلها تستفيد من الدراسات المعاصرة المتطورة، ومن التجارب الإنسانية الايجابية.

- إن تدريس العلوم الإسلامية، وفق نظرية النقد المنهجي الأصيل، يجعلها تقوم بوظيفتها في بناء المرجعية، وبناء الإنسان العالم القادر على تحصيل وعرض المعرفة وإتقانها وحسن استثمارها في الواقع بما يعود على الكون بالصلاح والنفع.

المبحث الرابع: وسائل تطوير تدريس العلوم الإسلامية وفق نظرية النقد المنهجي:

- إن الاهتمام بتطوير تدريس العلوم الإسلامية، واقتراح أهم الطرق التعليمية المنهجية، وفق اختيار أنسب النظريات التربوية، المحققة لمقاصدها في النفس والواقع، هو ما ينبغي السعي إلى تحقيقيه، ولعل من أهم هذه النظريات التربوية التعليمية التي نشأت في حضن العلوم الإسلامية منذ ابتكارها ونشأتها وتطورها، هي نظرية النقد المنهجي، التي تعتبر من بين أولويات تطوير تدريس المعرفة الإسلامية، وفي هذا السياق نقدم أهم الوسائل المحققة لذلك وهي:

- التدريس وفق نظرية النقد عن طريق الجمع بين الدليل والتعليل وبيان المأخذ والمدرك، وبين توجيه ومناقشة الأقوال والمسائل، وتحديد الفروق بينها، والتنبيه إلى مواقع الغلط في المسائل والأقوال والاجتهادات الفكرية.

قال العلموي: " ويبدأ بتصوير المسألة، ثم يوضحها بالأمثلة ويقتصر على ذلك من غير دليل ولا تعليل، فإن سهل عليه الفهم فيذكر له الدليل والتعليل، والمأخذ منه والمدرك، ويبين الدليل المعتمد ليعتمد، والضعيف لئلا يغتر به ويعتقد، ويبين أسرار حكم المسألة وعللها وتوجيه الأقوال، ويبين الفرق بين المسألتين، ومأخذ الحكمين، ويبين ما يتعلق بالمسألة من النكت اللطيفة، والألغاز الظريفة، والأمثال والأشعار وما يرد عليها، أو على عبارة مملها، وينبه على غلط من غلط فيها من حكم أو تخريج فيقول مثلا: هذا هو الصواب أو الصحيح، وأما ما ذكره فلان فغلط أو ضعيف قاصدا بذلك النصيحة لا التنقيص لمصنفه"[27].

المنارة للاستشارات
ww

- تدريس العلوم الإسلامية بهدف تحصيل الملكات عند الدارسين، وهو من أهم تحديات المدرسين للعلوم الإسلامية، قال ابن خلدون: " وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه، والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا. وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي"[28].

- إعداد تكوينات ديداكتيكية للمدرسين، يتم من خلالها صناعة النقد في نفوسهم وتعويدهم على استعمالها في الدروس النظرية والتطبيقية لمواد العلوم الإسلامية، ولابد أن يتولى هذه التكوينات البيداغوجية خبراء ممن حصلوا الملكات العلمية قال ابن خلدون: " ولهذا السند في التعلم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفق وجيل"[29]. ولهذا اشترط النظار في القائمين بتعليم العلوم الإسلامية، أن يكونوا من أهل النقد ممن توفرت فيهم معالم النقد المنهجي في تدريس العلوم الإسلامية قال الشاطبي: "إذ من شروطهم في العالم، بأي علم اتفق، أن يكون عارفا بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم، قادرا على التعبير عن مقصوده فيه، عارفا بما يلزم عنه، قائما على دفع الشبه الواردة عليه، فإذا نظرنا إلى ما اشترطوه، وعرضنا أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية، وجدناهم قد اتصفوا بها على الكمال"[30].

لأن التدريس ليس هو في كثرة التأليف أو التمهر في حفظ المطولات، وإنما هو تأليف تربوي دقيق يتوخى مخاطبة المتعلم، وفق بناء وتنمية جملة من الملكات والصنائع في نفسه، وتمكينه منها بغية تنزيلها في الواقع. ولا يليق بمقام العلوم الإسلامية أن يتولاها من لا يتقن ضبطها وإحكامها ويحسن تفعيل قوانينها من التنظير إلى التنزيل، وقديما قيل:

تصدر للتدريس كل مهوس ... جهول تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بذا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس[31].

وفي تاريخ العلوم الإسلامية، تولاها الجهابذة النقاد، فأنتجوا معرفة نقدية عالمية استفاد منها الناس في المشرق والمغرب.

- تعويد الطلبة على استعمال الملكة النقدية في المحاورة والمناظرة العلمية، وفي مجال إعداد البحوث العلمية، وتناول المسائل العلمية التي تتعلق بقضايا العلوم الإسلامية قال ابن خلدون: " وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها

المنارة للاستشارات
ww

ويحصل مرامها"32. وهذا المقصد الأعظم بادي في تطبيقات العلوم الإسلامية، بشكل واضح، من ذلك ما يتعلق بالجانب الفقهي الذي نجد مجال أسباب الخلاف ظاهر فيه لاسيما في المسائل الفقهية التي وقعت المناظرة فيها بين علماء المذاهب الفقهية، والناظر فيها يلمس أنها تنبني على أصل النقد الفقهي الذي أعمله الفقهاء فيما بينهم في الرد على الحجج والأدلة والاختيارات الفقهية، وهو ما جعل الفقه الإسلامي، يناقش ويحلل ويستنتج الحلول الفقهية لحل المشكلات المعاصرة، ويسهم في الارتقاء بالعقل المسلم ليتعود على المناظرة والحوار.

- اعتماد الاختبارات العلمية التربوية التي يتوقع منها تعويد المتعلمين على ممارسة النقد، وتفعيله في فهم واستيعاب الإشكالات المعرفية.

- السعي في تدريس العلوم الإسلامية من أجل بناء المنهج النقدي في نفوس الطلبة، مثلا يكون الغاية من تدريس علوم الحديث هي تعويد الطالب على المنهج النقدي عند المحدثين، من خلال بيان معالمه وأبعاده، وكذا يكون الأمر في الفقه وفي أصول الفقه وفي مقاصد الشريعة وفي أصول التفسير، وعلوم اللغة...

- التركيز في تدريس العلوم الإسلامية على الطريقة الحوارية النقدية التي تعرض المعرفة الإسلامية، على أساس مطالبة المدرس لها بتنمية معالم النقد في النفوس، ومن الطلبة حسن استثمار ملكة النقد في دراسة القضايا العلمية.

- أن تستقرأ العلوم الإسلامية وتصنف معالم النقد فيها على حسب أهدافها خصائصها ومراتبها، وتمكن هذه العملية الطالب من التعرف على أنواع النقد في العلوم الإسلامية، حتى يتحقق توافق العلوم الإسلامية مع الفروق الفردية للطلبة، وهنا سيظهر النقد الفقهي والأصولي والحديثي والتاريخي والمقاصدي واللغوي، ويفتح المجال أمام الطلاب لاختيار أوفق أنواع النقد لمقامه، هذا خير من أن نخرج الطالب، وقد درس كل العلوم الإسلامية، ولم يتقن أي علم من العلوم فهما وإدراكا وتمكنا ونقدا.

- تنمية أسلوب السؤال النقدي في التعلم، وهو من بين أهم الوسائل المعينة على تنمية النقد في نفوس الطلبة. قال ابن شهاب: " العلم خزائن ومفتاحه المسألة"[33].

قال العلموي: "ومنها أن يتصور ويتأمل ويهذب ما يريد أن يورده، أو يقرر، أو يسأل عنه قبل إبرازه والتفوه به"[34].

المنارة للاستشارات

- حث الطلاب في جميع حصص تدريس العلوم الإسلامية على حسن استعمال النظرية النقدية في كل المسائل العلمية، عن طريق طرح أسئلة علمية، تكون مقصودة لذاتها، بها يقاس الحس النقدي، ومدى استيعاب قانونه عند الطلبة.

- خلق الدافعية في نفوس الطلاب وتأهيلهم من الناحية البيداغوجية عن طريق إجراء تقويم تكويني بنائي طوال مراحل سير درس العلوم الإسلامية، والغاية من ذلك الوقوف عند مدى تمكن الطلاب من استثمار معالم النقد في علم من العلوم الإسلامية، في نقد مقولة أو فكرة أو قاعدة أو أصل.

قال العلموي: " لا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة، وإعادة ذكر ما أشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم لما شرحه لهم"[35].

- الاجتهاد قدر الإمكان في تحسين طرق تدريس العلوم الإسلامية، والانتقال ما أمكن بالدرس إلى واقع الطلبة من خلال التشجيع على المناظرات العلمية بين الطلبة أثناء حصص تدريس العلوم الإسلامية، في القضايا العلمية التي تستدعي ذلك، وما أكثرها في مجال العلوم الإسلامية، ولا ريب أن هذا يمكن الطلاب من معالم النقد في العلوم الإسلامية، ويكسبهم منهجا نقديا محكما، به تصبح العلوم الإسلامية أداة علمية تطبيقية، وليست مجرد كلام نظري.

- أن يتوخى القائمون على تدريس العلوم الإسلامية، تربية الطلبة على حسن إيراد الاعتراضات المنطقية الصحيحة مثل حسن الاستفسار، وفساد الاعتبار، وفساد الوضع، والمنع، وعدم التأثير والقدح، والنقض وهو تخلف الحكم عما علل به في الوصف"[36].

وهي قواعد جدلية نقدية تدفع إلى مزيد من البحث والتحقيق في المسائل والقضايا العلمية، يندب تفعيلها في تدريس العلوم الإسلامية، حتى تظهر جلية في مناقشة المسائل العلمية، مما يقوي الملكات العلمية في نفوس الطلبة.

- تربية الطلاب بعرض مكتسباتهم العلمية على الراسخين من أهل العلم، لأن ذلك سبيل فحصها ونقدها، فكم من معارف رسخت في الأذهان على سبيل الخطأ، وهنا لابد من العناية بجمع العلوم ونقدها بمقاييس أهل الشأن، قال الشاعر:

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ما تعلما

فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الأيام في جمعه عمى[37].

المنارة للاستشارات

خاتمة:

إن مشكلة النقد في تدريس العلوم الإسلامية، ينبغي أن تواجه من قبل النقاد المتخصصين في مجال المعرفة الإسلامية، وأن التنسيق بين الجامعات المغربية والمراكز العلمية ينبغي أن يتحقق في أقرب وقت ممكن، حفظا لمقاصد العلوم الإسلامية، وصونا لجهود الأمة وحماية لطاقتها الفكرية، وأن الجهود المبذولة الآن في مجال المقاربات البيداغوجية للعلوم الإسلامية ينبغي أن تتكامل، لتصب في وجهة واحدة، وهو تطوير تدريس العلوم الإسلامية في التعليم الجامعي، وجعلها أدوات ترتقي بالأمة في جميع مجالات الحياة، تسهم في بناء العقل الإسلامي، ليستفيق من جديد، ويسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

ومما يقوي هذه النظرية، ويفتح لها الآفاق المستقبلية لتنجح وتفعل في الواقع الجامعي، أنها في العلوم الإسلامية تختلف تمام الاختلاف عن النقد في الأدبيات الفلسفية، لأنه لا يكون من أجل النقد نفسه، بل الهدف منه، تربوي وأخلاقي وتعلمي وعلمي وحضاري، يستهدف بناء المعرفة على قوانين صحيحة، وتطويرها حتى تسهم في الرقي بالإنسان جسدا وروحا وفكرا ووجدانا وقلبا وقالبا.

التوصيات:

- الدعوة إلى الانفتاح على مناهج التدريس النقدية الحديثة، والأبحاث التربوية العلمية المعاصرة، حتى نترك العلوم الإسلامية تحقق نهضة علمية في الواقع التربوي التعليمي.
- إجراء أبحاث علمية تربوية تهتم بمجال تدريس العلوم الإسلامية، وتقترح الحلول التعليمية والتربوية والفكرية التي ترتقي بها في هذا العصر.
- ينبغي السعي إلى جعل الجامعة مؤسسة اجتماعية، تتأسس على منظومة القيم، التي يرتقي بها المجتمع، والجامعة اليوم أصبحت تعرف تغيرا في مجال القيم، وهذا التغير ينبغي للمختصين في تدريس العلوم الإسلامية، أن يستوعبوه، لطرح بدائل شرعية، باعتبار أن الجامعة لا يمكن أن ترتقي إلا بالقيم، لأن العلوم الإسلامية، غايتها العظمى هي ترسيخ القيم في مناهجها وغايتها وقواعدها، وهو ما يستدعي تجديد مناهج تدريس العلوم الإسلامية، وفق نظريات علمية مستمدة من الأصول العامة للشريعة، ومن الأدبيات التربوية المعاصرة، التي هي نتاج تجارب صحيحة تقوم بها المجتمعات الإنسانية.

المنارة للاستشارات
ww

- إعادة الاعتبار إلى مؤسسة الجامعة ليس باعتبارها فضاء للمعرفة فقط ينغلق على نفسه، بمعزل عن قضايا المجتمع،

وإنما هي فضاء علمي وثقافي وتربوي لتعلم النقد المنهجي البناء، وأدبيات الحوار وقواعد الاختلاف وقيم التواصل.

قائمة المصادر والمراجع:

❁ القرآن الكريم برواية ورش.

- أرجوزة ضياء الأرواح المقتبس من المصباح لمحمد المراكشي، وشرحها المسمى المقاصد السنية في شرح المراكشية لأبي البركات بن أبي يحيى، دراسة وتحقيق مريم لحلو، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، ط 1، س 2016م.
- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار ابن حزم، ط 1، 1426م/ 2005م.
- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، تحقيق السيد أحمد صقر ط 1 دار التراث، القاهرة، س 1389هـ/ 1970م.
- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط 3، س 1419هـ/ 1999م.
- تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة لمحمد الدويش، كتاب الأمة ع 158، س 33، ط1، ذو القعدة 1434هـ/ 2013م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، تحقيق عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات القاهرة، ط 1، س 1424هـ/ 2003م.
- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري، تحقيق معروف زريق وعي عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط 2.
- علم الجدل لنجم الدين الطوفي، تحقيق محمد عثمان، المكتبة الثقافية الدينية، ط 1، س 1435هـ/ 2014م.
- العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، تحقيق عمار الطالبي دار التراث ط 1 س 1997م.
- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال للقاضي أبي الوليد بن رشد، بيروت، لبنان ــ دار المشرق.
- الفروق اللغوية لأبي هلال، تحقيق محمد سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة.
- قوت القلوب لأبي طالب المكي، تحقيق محمود الرضواني، دار التراث، ط 1، س 1422هـ/ 2001م.
- القانون في أحكام العلم، لليوسي، تحقيق حميد حماني، مطبعة شالة، س 1998م.
- لسان العرب لا بن منظور، دار صادر، س 2003م.
- المعجم الفلسفي لجميل صليبيا. دار الكتاب اللبناني، بيروت، س 1982م.

المنارة للاستشارات
ww

- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم للشاهد البوشيخي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ع 4 س 1409هـ/ 1988م.
- المقدمة لابن خلدون، دار الشرق العربي، بيروت، س 1425هـ/ 2004م.
- الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، شرح وتخريج عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، س 1425هـ/ 2004م.
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد عبد الباسط العلموي، ط 1 المكتبة العربية في دمشق.
- الموطأ للإمام مالك، تحقيق عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، س 1406هـ/ 1985م.
- النظرية النقدية آلن هاو ترجمة ثائر ديب، ط 1 س 2010م، دار العين للنشر القاهرة.

الهوامش:

1- المعجم الفلسفي جميل صليبيا 2/ 477- 478.
2- لسان العرب لا بن منظور 14/ 335.
3- القانون لليوسي ص 284.
4- المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص 56
5- مقدمة ابن خلدون ص 394
6- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم للشاهد البوشيخي ص 20.
7- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس، رقم 2526.
8- الدر المنثور في التفسير بالمأثور 12/ 278
9- الآداب الشرعية 2/ 48.
10- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري، ص 411.
11- العواصم من القواصم 16. الدر المنثور 12/ 279.
12- الموطأ للإمام مالك، 1/ 205.
13- المعجم الكبير للطبراني 1378، السنن الكبرى للبيهقي 5498، ابن ماجه 61، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه 60.
حزاورة: جمع حزْور، والحزوّر: وهو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم، وقارب البلوغ (لسان العرب لابن منظور 185/4).
14- مقدمة ابن خلدون 524
15- الفروق اللغوية لأبي هلال، تحقيق محمد سليم ص 82.
16- تقديمه لكتاب تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة لمحمد الدويش ص 23.
17- فصل المقال ص 49- 50.
18- مقدمة ابن خلدون ص 335.
19- مقدمة ابن خلدون ص 392
20- النظرية النقدية ص 21

المنارة للاستشارات
ww

21- أرجوزة ضياء الأرواح المقتبس من المصباح لمحمد المراكشي، وشرحها المسمى المقاصد السنية في شرح المراكشية لأبي البركات بن أبي يحيى ص 84.
22- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص 4.
23- فصل المقال ص 36.
24- إحياء علوم الدين ص 21.
25- القانون اليوسي ص 215.
26- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم ص 20.
27- المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص 49.
28- مقدمة ابن خلدون ص 392.
29- مقدمة ابن خلدون ص 393.
30- الموافقات للشاطبي 54.
31- المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص 44
32- مقدمة ابن خلدون ص 394.
33- المعيد في أدب المفيد ص 70.
34- نفسه ص 42.
35- نفسه ص 51.
36- علم الجدل لنجم الدين الطوفي ص 91.
37- السابق ص 79

المنارة للاستشارات
ww